خطبة الجمعة 1/ربيع الآخر/1430هـ الموافق لـ 27/آذار/2009م

حاسة الذوق عند النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم (1)

صفة فم المصطفى عليه الصلاة والسلام وأسنانه وريقه وأثر ذلك

أيها الإخوة المؤمنون.. الحديث اليوم عن حاسة من حواس المصطفى صلى الله عليه وسلم هي حاسة الذوق، هذه الحاسة لها موضع هو اللسان وقد حواه الفم والأسنان، وقد جاءت صفة فم المصطفى صلى الله عليه وسلم وأسنانه في أحاديث عديدة، كما جاءت صفة ريقه عليه الصلاة والسلام وأثره، كما جاء وصف مذاقه عليه الصلاة والسلام، أي: ما كان يفضله من المذاقات من صنوف الأطعمة والأشربة.

وقبل أن أتابع الحديث أحب أن أجيب على سؤال ربما يسأله بعض الشباب لماذا هذه المواضيع؟ الجواب ماذا تعرف عن المصطفى صلى الله عليه وسلم؟ ماذا تعرف عن خير خلق الله؟ ماذا تعرف عن خاتم رسل الله؟ ماذا تعرف عن حبيب رب العالمين؟ ماذا تعرف عن نبيك ورسولك أيها الأخ المسلم أيتها الأخت المسلمة؟ ماذا نعرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ماذا نعرف عن كماله وجماله وحسنه؟ ماذا نعرف عن صفته عليه الصلاة والسلام؟ ماذا نعرف من سنته وأفعاله عليه الصلاة والسلام؟ الجواب: لا تعرف إلا أقل القليل.

لقد أمرنا الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم بالاقتداء بالمصطفى عليه الصلاة والسلام والاتساء به ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً**﴾ [الأحزاب21] والخبر في معرض الإنشاء، أي: ائتسوا برسول الله صلى الله عليه وسلم واقتدوا به، ففعل المخاطبون ذلك، فأخبر الله تبارك وتعالى أنهم قد فعلوا ذلك على أحسن وجه وأتمه، وقد مضت على أمة المسلمين بضع عقود من الزمان، عقود نحو

سبعين سنة، والدعوة الإسلامية تسير في غير المسار الصحيح، وقد نشأت الحركات السياسية الإسلامية، وتأثرت بها جوانب الدعوة الإسلامية في مساجد بلاد الشام ومصر وغيرها من بلاد الإسلام، فقامت على الخطاب السياسي بدل الخطاب الديني، وأحلت عبادة الله تبارك وتعالى والتحذير من الشرك، بدل الاقتداء بالمصطفى صلى الله عليه وسلم والتعلق به عليه الصلاة والسلام، مع أنه لم يرد إطلاقاً أن أحداً أشرك النبي عليه الصلاة والسلام مع الله تبارك وتعالى في شيء من صفاته، يقول الإمام أبو الفرج بن الجوزي الحنبلي تعليقاً على قوله عليه الصلاة والسلام: **(لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم إنما أنا عبد الله ورسوله)** وهو حديث صحيح متفق عليه، يقول: (ولا يلزم عن النهي عن الشيء وقوعه، لأنا لا نعلم أحداً ادعى في نبينا عليه الصلاة والسلام ما ادعته النصارى في ابن مريم).

من أجل ذلك نفتح نحن الباب في شهر ربيع للحديث عما لا يعرفه الناس من صفات المصطفى عليه الصلاة والسلام، ليتعلق الإنسان بمثال الكمال، ليعرف كيف يستفيد من سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام في كل ناحية من نواحي الحياة، وهذا باب من الأبواب، سمع النبي عليه الصلاة والسلام وبصره وشمه، صفة ذلك، وأدبه عليه الصلاة والسلام في كل حاسة من الحواس، لكي نعرف الصفة ونتعلق بالموصوف، ثم نتأدب بأدبه عليه الصلاة والسلام في تلك الحاسة، والحديث اليوم -بعد هذه المقدمة- عن صفة فم المصطفى عليه الصلاة والسلام وأسنانه وريقه وأثر ذلك، وسأؤجل الحديث عما كان يفضله النبي عليه الصلاة والسلام من ألوان الأطعمة والمذاقات، وما ذاقه النبي عليه الصلاة والسلام، وكيفية تناوله للطعام بفمه أو يده، وما جمع بينهما عليه الصلاة والسلام من صنوف الأطعمة، سأؤجل الحديث في ذلك إلى الجمعة القادمة إن شاء الله.

فم النبي عليه الصلاة والسلام كان عظيماً، جاء في حديث عن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه أخرجه الترمذي وغيره: **(كان النبي عليه الصلاة والسلام ضليع الفم)** أي: واسع

الفم، هذه السعة صفة محمودة في الرجال، مذمومة في النساء، فالمرأة تحمد إذا كان فمها صغيراً، والرجل يحمد كلما كان فمه أوسع، وسَعة الفم من علامات الفصاحة والبلاغة، وقد ورد أيضاً في حديث آخر التصريح، أخرجه البزار والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه عليه الصلاة والسلام: (**كان واسع الفم**) وفي حديث آخر أخرجه الطبراني في المعجم الكبير أن النبي عليه الصلاة والسلام: (**كان يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه**) والأشداق: جمع شدق، وهو جانب الفم، أي: كان النبي عليه الصلاة والسلام من الفصاحة والبلاغة بحيث لو تحدث أو تكلم يتحدث بملء فيه، لا ببعضه ولا بأطراف شفتيه عليه الصلاة والسلام.

وجاء في صفة فمه عليه الصلاة والسلام وثغره، [والثغر هو الفم، وقيل: هو الأسنان أو مقدم الأسنان، والذي أراه أن الثغر إنما هو ما يظهر من الفم والأسنان عند انفراج الشفتين] يقول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في حديث طويل أخرجه البخاري ومسلم، هو حديث اعتزال النبي صلى الله عليه وسلم نساءه، يقول رضي الله تعالى عنه: (**فلم أزل أحدثه حتى تحَسَّرَ الغضبُ عن وجهه، وحتى كَشَر فضحك** أي كشف النبي صلى الله عليه وسلم عن أسنانه، وانفرجت أساريره، فضحك وسر بكلام سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ومزاحه، **وكان من أحسن الناس ثغراً**) قوله: (من أحسن الناس) (من) للبيان لا للتبعيض، أي: كان أحسن الناس ثغراً، صفة النبي عليه الصلاة والسلام في ثغره.

وفي حديث أخرجه الدارمي والترمذي، يقول سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما: (**كان النبي عليه الصلاة والسلام أفلج الثنيتين إذا تكلم ريء كالنور يخرج من بين ثناياه**) (ريء) أي: رؤي، وهي لغة في رؤي. (أفلج الثنيتين) هذا الفلج في الثنيتين يعرفه أطباء الأسنان، ويحرصون على الوصية دائماً في أن يستخدم الإنسان الخيط وشبهه لتنظيف ما بين أسنانه، لأن جمال الأسنان المقدمة (الثنايا والرَّباعيات والأنياب) إنما هو بتفرق الأسنان، والنبي عليه الصلاة والسلام ولد وخلقه ربه سبحانه وتعالى أفلج الثنيتين والأنياب،

أي: هناك مسافة دقيقة جداً تفرق ما بين كل ثنية وثنية، وما بين كل ثنية ورباعية أو ثنية وناب، هذا يقول العلماء عنه: إنه جمال في الثنايا والأنياب لا في غيرها من الأضراس، فكان النبي عليه الصلاة والسلام مفلَّج الثنايا، لا مفلج جميع الأسنان، لأن الفلج في جميع الأسنان -أي: في الأضراس الخلفية- عيب، كما يقول علماء الأدب. وقول ابن عباس (إذا تكلم رؤي كالنور يخرج من بين ثناياه) يقول العلماء: هذا نور حقيقي، ليس المراد منه نور القرآن والسنة، ليس المراد منه الهداية والنور بالكلام، إنما هو نور حقيقي، كان إذا فتح فمه عليه الصلاة والسلام الشريف وتكلم، رؤي مثل النور [الكاف بمعنى: مثل] يخرج من بين ثناياه.

ووصَفه هند بن أبي هالة بأنه عليه الصلاة والسلام (**كان أشنب مفلَّج الأسنان**) والشَّنَب: رونق الأسنان والدقة والتحديد في رؤوس الأسنان وأطرافها، وهذا يزيد الأسنان جمالاً، هذا سئل عنه رؤبة بن العجاج في بيت لذي الرمة الشاعر يقول:

لمياءُ في شَفَتَيها حُوَّةٌ لَعَسٌ=وفي اللِّثَاتِ وفي أنيابها شَنَبُ

(وفي أنيابها شنب) أي: دقة وتحديد، سئل رؤبة بن العجاج عن معنى الشَنَب، فأخذ حبة من الرمان وقال: هذا هو الشنب، أي: في الدقة والصفاء والتحديد، فشبه دقة الناب وصفاءه بحبة الرمان، كيف تكون صافية مشرقة، ثم تكون دقيقة في نهايتها، وهذا من بدائع تشبيهات العرب، أن يشبه الناب في دقته وإشراقه بحبة الرمان. ووصف سيدنا علي النبي عليه الصلاة والسلام فقال: (**كان مبلَّجَ الأسنان**) والبلَجُ هو الإشراق والإضاءة، أي: كانت أسنانه الشريفة صلى الله عليه وسلم في غاية الإشراق والإضاءة، وضد ذلك في العربية: (الدَّرَد) والدرد إنما هو الصفرة التي تعلق بالأسنان لقلة الاعتناء بها.

أما ريقه عليه الصلاة والسلام فنقرأ وصفه في الأحاديث الصحاح، أخرج البخاري ومسلم في صحيحهما عن سيدنا سهل بن سعد رضي الله تبارك وتعالى عنهما أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول يوم خيبر: (**لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله**

ورسوله) قال في بعض ألفاظ الحديث: (**لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله عليه)** قال: فغدوا على النبي صلى الله عليه وسلم، أي: صباح اليوم الثاني، وكلهم يرجو أن يعطى، فقال عليه الصلاة والسلام: (أين علي؟) فقيل: (يشتكي عينيه) وكان قد أصابه رمد في عينيه، فأمر فدعي له، دعي سيدنا علي، فحضر أمام المصطفى صلى الله عليه وسلم، (**فبصق في عينيه، فبرأ مكانه، حتى كأن لم يكن به شيء)** بصق في عينيه أيها الإخوة..

هذه الأحاديث أحاديث صحاح، هذا الحديث في البخاري ومسلم، هذه الأحاديث مغيبة في الخطب والدروس، وبخاصة في الخطاب الوهابي، وخطاب من يجامل الوهابية من المشايخ وأنصاف المشايخ وأنصاف العلماء في هذا العصر، ممن يرغب في أموال السعودية، وفي الضيافة الملكية في الحج، وفي فتاوى ابن تيمية، وفي العباءات، وفي الأموال، لا يذكرون هذه الأحاديث!! وسنذكر هذه الأحاديث وغيرها من الأحاديث الصحاح التي جاءت فيها بركة النبي عليه الصلاة والسلام، لأننا نقول: أن النبي عليه الصلاة والسلام ليس كسائر البشر، هو بشر في أنه لم يكن جناً، ولم يكن ملكاً، ولم يكن خيالاً، ولم يكن شبحاً، ولكنه عليه الصلاة والسلام ليس كسائر البشر، فبصاقه عليه الصلاة والسلام كان شفاء، كان دواءاً، كان بركة، هذا ريقه عليه الصلاة والسلام.

نعم أيها الإخوة، لما نظر أبو سفيان إلى جيش النبي عليه الصلاة والسلام يوم فتح مكة، وقد أخذه العباس إلى رأس جبل، فجعل ينظر إلى المسلمين في الحديد، إلى المهاجرين والأنصار، قال: (لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً) قال: (ويلك، إنها النبوة!!) هذه هي النبوة.. النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن مجرد عبقري من العباقرة، نظر في أهل عصره وحاجة الناس إلى الإرشاد والهداية، فتصدى لذلك!! وإنما كان نبياً، شرفه الله تبارك وتعالى وفضله، في جسمه وخلقه، في شريعته وسنته، في هدايته وأخلاقه عليه الصلاة والسلام.

وأخرج البخاري أيضاً في حديث الحديبية، وفيه قصة عروة بن مسعود الثقفي: رسول قريش لما جاء يفاوض النبي عليه الصلاة والسلام في الصلح والرجوع من قابل، أي: العام الذي بعده، وقد أسلم عروة بعد ذلك وحسن إسلامه، يقول: (**ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، قال: فوالله، ما تنخم نخامة** [النخامة: ما يخرج من الصدر] **إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه** [على الماء الذي يتركه، على بقية الماء، أو على ما يسقط من الماء ويتقاطر من أعضائه الشريفة صلى الله عليه وسلم] **وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون النظر إليه تعظيماً له)** فرجع عروة إلى أصحابه، إلى قريش، فقال: (أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله، إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه كما يعظم أصحاب محمد محمداً، صلى الله عليه وسلم، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده..) وأعاد وصف ما رآه من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

هذا بعض أثر ريق المصطفى عليه الصلاة والسلام، هل كان الصحابة يجدون ذلك مدعاة للتقزز والاشمئزاز، كما هو مع سائر البشر؟!!.. نحن نتقزز أن نصافح رجلاً يضع يده في فمه، نحن نتقزز ربما أن ننظر إلى النخامة، ولذلك من الآداب في النخامة أن يسترها الإنسان، وأن البصاق في الطريق ليس من آداب المؤمنين عامة، بل ينبغي للإنسان أن يستر بصاقه، وأن يستر نخامته قدر المستطاع، نحن نتقزز من ذلك، ولكن، انظروا إلى صفة ريق النبي عليه الصلاة والسلام.. كانت تفوح منه رائحة المسك..

أخرج ابن ماجة عن وائل بن حجر رضي الله تعالى عنه قال: **(رأيت النبي صلى الله عليه وسلم أتي بدلو فمضمض منه، فمج فيه مسكاً، أو أطيب من المسك، واستنثر خارجاً من الدلو)** وفي لفظ الإمام أحمد في مسنده: **(مج في البئر ففاح منها مثل ريح المسك)** وفي

حديث أخرجه أبو نعيم في الحلية (**أن النبي عليه الصلاة والسلام بزق في بئر في دار أنس بن مالك،** قال أنس: **فلم يكن في المدينة بئر أعذب منها)** وهذه البئر كانت محفوظة، وما تزال تعرف إلى هذه الأيام، وإن كان يحاول بعض المسؤولين في المملكة العربية السعودية إزالة كل الآثار المتعلقة بالنبي عليه الصلاة والسلام، وقد أفتى الشيخ عبد العزيز بن باز –غفر الله له– بجواز إبقاء آثار الكفار، كآثار اليهود في خيبر، وآثار الفراعنة في مصر، ووجوب إزالة الآثار الإسلامية!!. وأخرج الطبراني في المعجم الكبير، (**أن امرأة بذية اللسان جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهي تأكل قديداً القديد** هو اللحم المملح المجفف كان يعرفه أهل الشام قديماً **فقالت: ألا تطعمني؟ فناولها من بين يديه عليه الصلاة والسلام فقالت: لا إلا الذي في فيك** تريد اللقمة التي كانت في فمه الشريف صلى الله عليه وسلم **فأخرج ما كان في فيه فأعطاه لها فأكلته فلم يعلم منها بذاءة بعد ذلك اليوم)**.. هذا أثر ريق النبي عليه الصلاة والسلام الحسي، في عذوبة الماء، وأثره المعنوي في طيب الكلام.

بل جاء أيضاً في البخاري ومسلم، في حديث جابر رضي الله تعالى عنه، في غزوة الخندق، لما دعا جابر بن عبد الله رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم قال: أنت ونفر من أصحابك، فماذا صنع النبي عليه الصلاة والسلام؟.. نادى: يا أهل الخندق، إن جابراً قد صنع لكم سوراً فحيهلا بكم!.. فجاء الناس أفواجاً، لكنْ أمَر النبي عليه الصلاة والسلام جابراً ألا يكشف البُرمة (القِدر)، جاء في البخاري ومسلم في لفظ الحديث: (**ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك)** وفي بعض الروايات: (فبسق) بالسين. بصق النبي عليه الصلاة والسلام في البرمة، في العجين، بصق حتى كفى ألفاً أو يزيدون! ببركة ريقه الشريف صلى الله عليه وسلم.

وفي حديث أخرجه البخاري، أيضاً في قصة الحديبية، أنهم كانوا ألفاً وأربعمائة، قال: (**فنزلوا على بئر فنزحوها** يعني جف ماء البئر، ما بقي في البئر شيء من الماء **فأتوا رسول**

الله صلى الله عليه وسلم فأتى البئر، فقعد على شفيرها، ثم قال: إيتوني بدلو، فأتوه بدلو من مائها، فبصق عليه الصلاة والسلام، وهذا اللفظ هو المروي في صحيح البخاري، **فدعا، ثم قال: دعوها ساعة، فتركوها ساعة من الزمان،** قال: **فأرووا أنفسهم وركابهم حتى ارتحلوا)** وكانوا ألفاً وأربعمائة أو أكثر، ببركة بصاق المصطفى صلى الله عليه وسلم في الدلو الذي وضع بعد ذلك في البئر.

بل ورد في حديث أخرجه ابن عساكر، **(أن الحسن سبط المصطفى صلى الله عليه وسلم ظمئ ظمأ شديداً، فأعطاه النبي عليه الصلاة والسلام لسانه فمصه حتى روي)** وورد أيضاً أنه عليه الصلاة والسلام، والحديث أخرجه البيهقي في السنن: **(كان يوم عاشوراء يدعو برضعائه ورضعاء فاطمة ابنته فيتفل في أفواههم ويقول لا ترضعنهم إلى الليل فكان ريقه الشريف صلى الله عليه وآله وسلم يجزئهم).**

أيقال بعد ذلك: رسول الله واحد كسائر البشر؟!! معاذ الله!.. أيها الإخوة، إذا كان بصاق النبي وريقه بركة، إذا كان ريق النبي عليه الصلاة والسلام شفاء، إذا كان النبي عليه الصلاة والسلام أحسن الناس ثغراً، بل إن لسانه قد ذكره الله تبارك وتعالى فقال: ﴿ **لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ*إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ** ﴾ [القيامة،16-17] أفلا يجب علينا أن ننظر في هذا الرجل العظيم؟ في هذا الرجل المبارك؟ الذي كان أبرك الناس على الناس، من لدن آدم إلى قيام الساعة، في هذا الرجل الذي جعل الله تبارك وتعالى ريقه شفاءً، ولعابه دواءً؟..

حتى السيدة عائشة رضي الله تعالى في البخاري ومسلم تقول: **(ما قبض النبي صلى الله عليه وسلم حتى جمع الله ريقه وريقي)** أخذتِ السواك، وقد أراد النبي عليه الصلاة والسلام أن يستن، اشتهاه قبيل وفاته عليه الصلاة والسلام، وكان جافاً، فأخذته السيدة عائشة رضي الله تعالى عنه ولاكته في فمها بريقها حتى طرّته، وأعطته النبي عليه الصلاة والسلام، ثم أخذته

منه، بل ورد في الأحاديث الصحاح عند أبي داود والنسائي وغيرهما، أن النبي عليه الصلاة والسلام لمحبته لعائشة، **(كان يتحرى موضع فمها من الإناء)** فيضع فمه الشريف على موضع فم السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يرزقنا معرفة مقام النبي عليه الصلاة والسلام، وقدره عند ربه، لكي نعظمه، ما لم نعظم نبينا عليه الصلاة والسلام نحن المسلمين، لا يمكن أن يعظمه أعداؤنا، ولا يمكن نعظمه ما لم نعرف قدره، ما لم نعرف صفته، ما لم نعرف شمائله وخصائصه عليه الصلاة والسلام، أسأل الله تبارك وتعالى أن يعلمنا ما ينفعنا، إنه سميع قريب مجيب، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه، فيا فوز المستغفرين، أستغفر الله....